# موقف البراجماتية من الميتافيزيقا
# دراسة تحليلية نقدية

خ غلإج ع ك ب لإرل
ك بئيخئ اغ جئلع بـ ئز

ك ك :

البحث: ( موقف البراجماتية من الميتافيزيقا... دراسة تحليلية نقدية) معني بعرض الموقف الحقيقي لفلاسفة البراجماتية من الميتافيزيقا، وهو موقف فيه الكثير من التناقض, اذ أنهم إنهم في الوقت الذي يتخذون موقفاً معارضاً لقضاياها ومباحثها ويدعون الى عدم جدوى البحث فيها, إلا أنهم يعالجون الكثير من الموضوعات الفلسفية بأسلوب ميتافيزيقي.

وقد بيّنا هذه الحقيقة من خلال تناول أبرز رموز الفلسفة البراجماتية متمثلة بـ( بيرس وجيمس وديوي ) والوقوف على حقيقة مهمة ألا وهي أنّ بيرس وجيمس لم يستمرا على موقفهم الناقد للميتافيزيقا وأن ادعوا خلاف ذلك باستثناء جون ديوي الذي احتفظ بموقفه منها إلى النهاية.

**Abstract**

**The Pragmatic Attitude Towards Metaphysics: An Analytical-Critical Study**

The study is meant to explore the real stance and attitude of Pragmatic philosophers towards Metaphysics. This stance has a lot of contrast since they have contradicted views against metaphysical cases and attitudes and they find no use in dealing with it. However, they tackle many philosophical topics in a metaphysical way.

This fact has been focused in this study through dealing with the most prominent figures of pragmatics, i.e. Bierce, James and Dewey. We tackled the important fact that Bierce and James did not keep on criticizing metaphysics, even though they claimed the opposite. Yet, John Dewey maintained his views against it till the end.

طرق لبحث:

اهتم الفلاسفة بالميتافيزيقا ومباحثها خلال تاريخ الفكر الانساني الطويل, فلا يكاد يخلو اتجاه أي فيلسوف إلا وكان للميتافيزيقا ومباحثها نصيبٌ وافرٌ في أبحاثه بغض النظر عن نتيجة ذلك سواءٍ أكانت سلباً أم أيجاباً ,ولعل هذا هو السبب في إطالة عمر الميتافيزيقا إلى وقتنا الحاضر , فضلاً عن ان حاجة الانسان الى الميتافيزيقا هي حاجة ضرورية وملحة لان الميتافيزيقا ظاهرة إنسانية [١].

لذا فان كل انسان هو ميتافيزيقي , سواء علم بذلك ام لم يعلم [٢] وذلك نابع من أن هناك مسائل مهمةً وأساسية مطروحة أمام الإنسان ,ولا يستطيع أي علم من العلوم المختلفة والخاصة أن يقدم أجابات عليها , بل لابّد من وجود علم يتناول البحث فيها ,وهو الميتافيزيقا أو العلم الكلي أو الفلسفة الاولى , وهو علم لايختص موضوعه بأي نوع من أنواع الموجودات او الماهيات المتعينة او المشخصة [٣].

وفي الفكر الفلسفي المعاصر برزت اتجاهات فلسفية معاصرة اتخذت من رفض الميتافيزيقا من أولوياتها واساس من أسسها , ومن بين هذه الاتجاهات تظهر مثلاً الوضعية الفرنسية والوضعية المنطقية فضلاً عن البراجماتية -التي هي محور دراستنا - رافضة للميتافيزيقا ومحددةً تصورها بما يوضحه قول أحد الباحثين المعاصرين : برفض التعامل أو الحديث أو البحث ( في أو عن أو مع ) معظم مشكلات الفلسفة التقليدية ومن بينها الميتافيزيقا ... واعتبار اهم مباحثها ( الله ,النفس , العالم الآخر ,العقل , الروح, المادة ...وغيرها ) كلمات غير ذات معنى ,وبالتالي فلا حاجة للخوض والحديث عنها .[٤]

وهذه الدراسة إنما جاءت للبحث في موضوع موقف البراجماتية من الميتافيزيقا, للتدليل بما يشير إلى ان البراجماتية متمثلةً

(بجارلس بيرس ) و(وليم جيمس )و(جون ديوي )قد خاضت في مباحث الميتافيزيقا في أبحاثهم وفلسفاتهم ,على الرغم من تصريحاتهم بنقد وقصور الميتافيزيقا . ويستثنى من ذلك جون ديوي الذي بقي مخلصاً للبراجماتية ولموقفة من الميتافيزيقا .

مما يعني أنّ هذه الدراسه تبحث فيما يثبت أنّ البراجماتية قد تطرقت الى مباحث الميتافيزيقا في فلسفاتها , على الرغم من ادعائهم الظاهري بنقدها وتفنيدها وهذا ان دل فإنما يدل على التناقض في موقفهم من الميتافيزيقا, وهذا هدف بحثنا الذي قسم الى: مقدمة وعدد من النقاط أولها: حول التعريف بمفهوم البراجماتية ,وثانيها:التعريف بالميتافيزيقا,وثالثها:التعريف بأبرز فلاسفة البراجماتية,ورابعها: بيان موقف البراجماتية من الميتافيزيقا من خلال اثنين من أبرز فلاسفتها وهما بيرس وجيمس، خاتماً البحث بإيراد أبرز النتائج التي توصلت اليها خلال البحث.

آ لإ ئ ج ة بـ

اسم مشتق من اللفظ اليوناني براجما ومعناه العمل [٥], وكلمة البراجماتية كلمة قديمة ومستعملة بمعانٍ مختلفة [٦] والبراجماتية ,بوصفها مذهباً فلسفياً محدداً ترجع إلى أعمال تشارلس ساندرس بيرس ,وقد اطلق عليها بعد ذلك تسميةالبراجماتيكية[٧] او البراجماسية[٨]او البراجماتانية[٩]. والبراجماتية أنشات في الولايات المتحدة الامريكية في اواخر ١٨٠٠م (١٠) وتعد فلسفة علمية انبثقت من الروح المادية للقرن العشرين وارتبطت بتطور مناهج البحث العلمية والاتجاهات الواقعية المعاصرة. [١١] وعلى مستوى الاستعمال اللغوي كانت كلمة البراجماتية قليلة الاستعمال في اللغة الانجليزية ,ولم تكن مستعملة على الاطلاق في سياق الحديث الفلسفي حتى ادخلها الفيلسوف الأمريكي (بيرس) (١٢) ولقد عّد جميع فلاسفة البراجماتية فلسفتهم انها منهج ,وليس مذهباً فلسفياً , فهي اتجاه كل المناقشات الفلسفية والمنازعات الميتافيزيقية التي جعلت من المنهج البراجماتي محاولة لتفسير كل فكرة بتتبع واقتفاء اثر نتائجها العملية كلاً على حدة [١٣] ولعّل أوضح وصف لتاريخ البراجماتية ما وضعه( يعقوب فام )في كتابه البراجماتزم في الخطوات التالية :

١- زعم هربرت سبنسر أن الفكرة التي لاصورة لها في الذهن تكون فكرة لا معنى لها في الواقع .

٢- ثم اتى بعده بيرس فزعم أنّ الفكرة التي تقود الى العمل تكون فكرة صالحة وحقيقية .

٣- وتبعه وليم جيمس فزعم أنّ هذا العمل الذي تؤدي اليه الفكرة انما هو البرهان القاطع على صحتها .

٤- ثم خرج ديوي بنظرية من أن الأصل في الفكرة أو العقل, ليس المعرفة ,فليس العقل اداة للمعرفة , وانّما أداة للحياة (١٤).

تئمؤئبك ئغ قئ **( Metaphysics)**

يدّل الأصل اللغوي – التاريخي للميتافيزيقا على أنّها كلمة مركبة من مقطعين هما (meta) وتعني بعد او وراء ,و(physique) وتعني الطبيعة , وبالجمع تصبح مابعد الطبيعة [١٥].

والميتافيزيقا تعريب للكلمة اليونانية (تاماتاتافوسيكا) ومعناها مابعد الطبيعة [١٦]، ويعد اندرونيقوس الرودسي((Andronicus of Rhodes)حوالي ٦٠ قبل الميلاد) الرئيس الحادي عشر لمدرسة المشائين هو أول من أطلق كلمةالميتافيزيقا على مجموعة البحوث الارسطية التي تعرف الان بهذا الاسم , وقد حدث ذلك عندما قام بنشر مؤلفات ارسطو في منتصف القرن الاول قبل الميلاد [١٧] أما فيما يخصّ اطلاق تسمية الميتافيزيقا تحديداً على هذه البحوث من قبل اندرونيقوس الرودسي فقد يكون للدلالة على موضوعات دراستها بمعنى أنّها تبحث فيما وراء الظواهر المحسوسة [١٨] ,أولأنه وضع هذه البحوث الفلسفية بعد مؤلفات ارسطو الطبيعية ,فكأنّه اراد بهذا الاسم مابعد الطبيعة البحوث التي تلي كتب الطبيعة (الفيزيقا) في ترتيب المؤلفات الارسطية فجاء الاسم عرضاً ثم اعتبر صحيحاً في وصفه لطبيعة الموضوعات .[١٩] أما أرسطو نفسه فكان يطلق عليها تسميات متعددة منها الفلسفة الأولى ,تميزاً لها عن الفلسفة الثانية – وهي الطبيعة عنده- , والحكمة ,لأنهّا تبحث في العلل

**الأولى اطلاقاً** – لا الأولى في جنس من الأجناس – والعلم الإلهي, لانّ أهّم مباحثها هو الله باعتباره الموجود الأول والعلة الأولى للوجود.[٢٠].

أمّا عن التعريفات الاصطلاحية للميتافيزيقا في تاريخ الفكر الفلسفي ,فهي متعددة ومختلفة,اذانها تكون بحسب الاتجاه الفكري للفيلسوف,فقد عرفها ارسطو بأنها" البحث في العلل والمبادئ الاولى" [٢١] بمعنى البحث في الوجود بما هو موجود,وما في الكون وما فيه من مبادئ ومفهومات (العلية , المكان , الزمان ,الطاقة , الحركة ,وغاية الوصول الى نظره كلية في العالم وفي الحياة.[٢٢].

اما بعد ارسطو فقد تعددت التعريفات للميتافيزيقا ولكن بقيت متأثرة بتعريف ارسطو لها على طول تاريخ الفلسفة ,فمثلاً يعرفها ابن سينا بأنها العلم الالهي وهو علم يبحث في الوجود المطلق وينتهي بالتفصيل ,حيث تبتدئ منه سائر العلوم فيكون في هذا العلم بيان مبأدي سائر العلوم الجزئية .[٢٣].

ويعرفها توما الاكويني بأّنها علم العلل الأولى أو المبادئ الأولية ,وهي ترجع كلها الى علة واحدة وهي الله .[٢٤] أمّا ديكارت فأّنها عنده تشمل مبادئ المعرفة والتي

من بينها تفسير اهم صفات الله ,ولامادية نفوسنا ,وجميع المعاني الواضحة التي هي فينا [٢٥].

وهذه التعريفات السابقة كلها تحمل السمة الدينية فضلاً عن تأثرها بتعريف ارسطو.وقد أصبح ينظر للميتافيزيقا بعد ديكارت بمعان أخرى, فمثلاً كما مضى عرفها بأنّهامتظمنة لظواهر الادراك الذي يكون قبلياً اي اولياً سابقاً على التجربة.[٢٦]أما عند( كونت) فهي نمط فكري وسيط بين اللاهوتي والوضعي ,فهي تسعى لمعرفة أصل كل الأشياء ومجراها , والمصدر الأساسي لانتاج كلّ الظواهر [٢٧].

أمّا في الفلسفة المعاصرة فيعرفها( برادلي) بأنها محاولة لمعرفة حقيقة الواقع في مقابل الظاهر المحض ,او هي دراسة للمبادئ الأولى والحقائق النهائية, وانا أفهمها على أنّها الجهد الذي يبذل لفهم الكون فهماً شاملاً ,لاعلى أنه أجزاء أو قطع متفرقة ,بل على أنّه كل طريقة ما .[٢٨])أما( الفريد وايتهيد) فيعرف الفلسفة التأملية بأنّها تحاول تشكيل نسق مترابط ومنطقي وضروري من الافكار العامة , في مصطلحات يمكن عن طريقها تفسير كل عنصر من عناصر خبرتنا .[٢٩] من ذلك يتبّين أن مصطلح الميتافيزيقا اخذ ابعاداً مختلفة عما كان عند ارسطو ومن بعده ابتداءً من الفلسفة المعاصرة واتجاهاته المختلفة .

ثانياً: موقف البراجماتية من الميتافيزيقا

قبل استعراض وجهات نظر الفلاسفة البراجماتين من الميتافيزيقا يجب التعريف بهم بشكل وافي - ولا سيما ان دراستنا تهدف الى توجيه النقد للتناقض الموجود في طروحاتهم حول الميتافيزيقا- من جانب أنّهم يعملون على نقدها ,ومن جانب آخر يعملون على الاستشهاد بها ويتطرقون إلى مباحثها في تفصيلات فلسفتهم ,وان هذه الدراسة تركز نقدها الى فيلسوفين من فلاسفتها هما( بيرس وجيمس ), لذلك سيكون محور التفصيل بهما حصراً :

١- تشارلز ساندرز بيرس Gharles Senders Peirce ١٨٣٩ - ١٩١٤

ولد في مدينة كامبردج في الولايات المتحدة الامريكية , ويعد الرائد الأول للفلسفة البراجماتية ,ولم يحظَ بشهرة اكاديمية في حياته ,وقد بقيت اعماله في المنطق والفلسفة غير منشورة ,حتى نشرت في مجموعة
( ابحاث بيرس) في ثمانية مجلدات من ١٩٣١- ١٩٥٨م (٣٠) تأثر

( بيرس )في بداية حياته بفلسفة (كانط النقدية) (١٧٢٤- ١٨٠٤م) فدرس مؤلفاته, وذلك لاهتمامه المبكر بالنقد بعامه ,ونقد العلوم بخاصه .
انتقل بعد ذلك إلى دراسة واقعية الفهم المشترك عند( توماس ريد)
( ١٧١٠- ١٧٩٦م) , ومن خلالها رفض الاتجاة المثالي عامة, ومثالية هيجل خاصة أسس لفلسفته البراجماتية عام(١٨٧٠م) التي قام بتغير اسمها بعد ذلك الى البراجماسية (Pragmaticism )[٣١] وذلك اعتقاداً منه بأنّها حُرِفت عن معناها[٣٢]
ابتدأ بيرس فلسفته البراجماتية بمقالين الأول بعنوان( تثبيت الاعتقاد ١٨٧٧م) والثاني ( كيف نوضح افكارنا ١٨٧٨م) وقد عرف فلسفته البراجماتية بأنها عادة الذهن المكتسبة من المعمل [٣٣]وفلسفته تقوم على الدقة البالغة في تحديد معاني الأفكار وتوضيحها, معتمداً على الآثار العملية التي تتولد من الافكار,لذلك يذهب الى أننا إذا أردنا أن نكفل لأية فكرة من افكارنا اكبر قسط من الوضوح, فليس علينا سوى ان ننظر الى الاثار العملية التي نتصور تولدها من تلك الفكرة [٣٤] بذلك تكون الفكرة عند بيرس خطة للعمل, وقيمتها في نجاح تلك الخطة [٣٥] من ذلك يربط بيرس بين الآثار التي تولدها الافكار وموضوع التفكير ,وعندئذ تكون فكرتنا عن هذه الآثار هي كل فكرتناعن الموضوع [٣٦] وقد وظّف بيرس فلسفته هذه بمبدأ واحد عُرف (بمبدأ بيرس) وهو ( ادخل في حسابك دائماً أي نوع من أنواع الآثار التي يمكن ان تكون موضع الملاحظة الفعلية العملية , حينما تدرك أية فكرة او تصور[٣٧]. عالج( بيرس) في فلسفته مشكلتين اساسيتين الأولى مشكلة المعنى,والثانية مشكلة الاعتقاد , في الأولى يعتبر بيرس العقل عاجزاً عن المعرفة بدون تأثيرات الاشياء في الواقع الخارجي , فهو يعتقد من المستحيل بالنسبة لأية فكرة موجودة في عقولنا أن تكون متعلقة بأي شئ ما عدا الاثار المحسوسة التي ندركها فيها[٣٨] وبالتالي فأن الكلمة أو العبارة تكون ذات معنى إذا ما كانت الفاظها دالة على خبرة حسية يمكن اللجوء اليها في عالم ,وليس لأية لفظة من معنى سوى مجموعة تلك الخبرات الحسية المتوقع حدوثها[٣٩] من هذا المنطلق فرق( بيرس) بين مشكلات حقيقية ومشكلات زائفة في الفلسفة ,إذ إن المشكلات الحقيقية هي ما تحتمل الحل , إن لم يكن الآن فقد يكون ذلك مستقبلاً, المهم أن يكون الحل ممكناً, أما المشكلات الزائفة, فهي ما يستحيل حّله, لأنّها تحتوي على الفاظ وعبارات خالية من المعنى ,بمعنى آخر ما لايكون موضوعها مما يدخل في حدود الخبرة الحسية[٤٠].

يتألف منهج بيرس في المعنى من ثلاث خطوات اساسية هي :
١- الافتراضية: وهي وضع الجمل في المفردة بصيغة الافتراض قبل اكتشاف معناها البراجماتي .
٢- العملياتيه : وهي ان يرد في جملة فعل الشرط "اذا" ذكر لعملية يقوم بها المرء,شئ يختبره المرء.

٣- التجريبية : وهي ان يرد في جملة جواب الشرط "فأن" ذكر لشئ يختبر او يلاحظ من قبل المختبر بعد توفر شروط الآختبار[٤١].

امامشكلة الاعتقاد فإن بيرس يعتبر الاعتقاد تحقيقاً لصّحة المعنى بذلك يكون هناك ارتباط بينهما يؤدي إلى اليقين وهو يعرفه بأّنه التأكد من صّحة فكرة ما, أو صدق عبارة ما ,وهو مرتبط بالمعنى الموجود في الذهن ,سواءٍ كان معنى فكرة فنعتقد بصّحتها ,أومعنى عبارة فنعتقد أنها صادقة ,فألاعتقاد هو أقرب إلى التصديق على صّحة المعنى ,لذلك فإّن المعنى والاعتقاد مترابطتان .[٤٢]

للاعتقاد خواص عند بيرس أّهمها:

١- الاعتقاد شئ نشعر به .

٢- الاعتقاد يهدئ الاضطراب الناشئ من الشك .

٣- الاعتقاد يتضمن إقامة قاعدة للفعل في طبيعتنا ,أو بكلمه موجزة عادة .[٤٣] ويعتقد بيرس أن الاعتقاد هو الأساس في حياتنا ,وليس الشك فلابد لنا من اعتقادات ثابتة في الحياة العملية ,ولابد أن تكون اعتقادات ذات صفة اجتماعية ,وليست فردية لتحل ارادة المجتمع أو الدولة محل ارادة الفرد في تثبيت الاعتقادات.[٤٤]

١- لك ج **William James**( ٠٧٣١-٠٨٠ )

فيلسوف أمريكي ولد بنيورك عام ١٨٤٢م من أسرة متدينة ,ومثقفة, وثرية لها باع واسع في الثقافة والعلم .[٤٥] تنقل في أثناء دراسته بين مدارس بنيورك ولندن وباريس وجنيف لذلك امتلك مجموعة متنوعة من اللغات المختلفة , دخل جامعة هارفارد دارساً للكيمياء, ثم التشريح ,ثم الطب ,ليصبح طبيباً ويعين في إحدى المستشفيات .[٤٦] ثم اكمل درسته العليا ليصبح مدرساً في جامعة هارفارد .[٤٧] و تنقل بين الدرجات العلمية من مدرس الى أستاذ مساعد الى أستاذ مساعد في الفلسفة ثّم استاذ لها عام ١٨٨٥م وعمره ثلاثة وأربعين عاماً .

آ ه للفئة ذ :

١- أصول علم النفس .
٢- إرادة الاعتقاد .
٣- صنوف من التجربة الدينية .
٤- البراجماتية .
٥- الكون المتعدد.
٦- بعض مشكلات الفلسفة .[٤٨]

آ ه لغ ئن :

١- نظرية المعنى : وتعني تحديد معنى العبارة ,كونها ذات نتائج عملية تترتب على تنفيذها ,وما لايمكن تنفيذه او تطبيقه ,فليس له معنى.
٢- نظرية الصدق أو الحق : إن العبارة ذات المعنى ليس بالضرورة أن تكون صادقة, بل حسبها أن تكون ذات معنى,وأن تكون مفهومه على أساس ما يصادف الحواس من خبرات لو كانت صادقة[٤٩]

وعند جيمس تقاس الفكرة بما تحققه من قيمة فورية ,وما تلعبه من دور في حياتنا اليومية .[٥٠] وللتأكد من وضوح فكرة ما علينا أن ننظر في النتائج والآثار العملية التي تحققها في الواقع ,سواءٍ كانت هذه النتائج مباشرة أوغير مباشرة [٥١].

وقد توجه (جيمس) بالبراجماتية وجهة فردية ذاتية خلافاً لبيرس الذي دعا الى الوجهة الاجتماعية, ,فمثلاً يرى جيمس أن فرضية وجود الله تكون أيضاً حقيقة طالما أنها مقنعة لممارسة الحياة الفردية [٥٢].

ثانياً: موقف البراجماتية من الميتافيزيقا

من الأمور الملفته للنظر موقف البراجماتية من الميتافيزيقا ,حيث تدعي أنها تمثّل اتجاهاً مألوفاً تماماً في الفلسفة ,ألا وهو الاتجاه التجريبي ,وهي تمّثله- كمايقول وليم جيمس – في شكل أكثر تطرفاً واقل ممانعة فيه واعتراضاً عليه في الوقت نفسه ,مما سبق لها ان اخذته على عاتقها حتى الآن .[٥٣] ومع هذا فان أشهر ممثليها ,وهم بيرس وجيمس ,لهم موقف متناقض من الميتافيزيقا , فمن جانب أن كلاً منهم يرفض ويستبعد ويقلل من شأن الميتافيزيقا , ومن جانب آخر يفكر ويطرح أفكاراً بأسلوب ميتافيزيقي , فبيرس, مثلاً ,وانطلاقاً من اتجاه البراجماتي وتعلقه بالمنطق , يرى أن منهج الميتافيزيقا غير دقيق، وذلك لأنه لا يواكب سير العلم اذ يقول " إن طرائق الميتافيزيقين في الاستنباط تصطنع على اساس فروض من عندهم ويصلون به الى براهين يصفونها بالصواب القطعي الذي لا يتعرض للتعديل على ضوء ما قد تكشفه عنه البحوث العلمية فيما بعد ذلك تكون الفلسفة البراجماتية ضد الانساق الميتافيزيقية التي تبدو ركائزها قانوناً ثابتاً لا يقبل التغير " [٥٤] بينما هو في فكرة الله ينطلق من الغريزة الإنسانية التي من خلالها يهتدي الإنسان الى الله [٥٥] وقد قبل بيرس فكرة الله ,الذي هو ذات مشّخصة وقادرة قدرة مطلقة ,على أنها فرض فلسفي ,ثم وضع عدة طرق مختلفة للبرهنة على حقيقتها ,كالآتي :

١- أن التنوع الحي في الكون والتلقائية التي تجد أعلى تعبير عنها في الشخصية الإنسانية يساعدنا على أن نرى تلقائية لامتناهية , أو (رتبة أولى ) لامتناهية ,نراها في الأمثلة الجزئية المفيدة لمقولة الرتبة الاولى

٢- من الواضح أن نظام الغائية الدينامية موجود في العالم , وأن الطريقة التي أعد بها العقل الانساني, لكي يفسر مجرى الطبيعة ويتنبأ به من خلال فروض العلم إنما تكشف عن هذه الغائية , فتتجّلى أوضح ما تكون والتفسير الوحيد الكامل لتكيف أجزاء

العالم بعضها مع بعض , وللتكيف القائم بين العقل والعالم هو ان (عقلاً) مطلقاً قد تولى عملية خلق الأشياء وتطورها , وأن فرض التطور يؤيد ذلك لأنه لم يكن هناك غير الموجه من العماء إلى النظام الحاضر .

٣- عندما نفّكر في فرض الله باعتباره ينبوع الكون الخلاق نرانا مسوقين بالتدريج إلى قبول هذا الفرض على أنه التفسير الوحيد الذي يمكن أن يفسر به الوجود ,وأن الاعتقاد الفطري في الله ليلائم على حركة في طبيعتنا , كما أن ميلنا الى الصلاة وخشوعنا أمام المجموعة الموحدة للأشياء لتؤيد صدق هذا الفرض[٥٦].

أما جيمس فمن جانب يحطّ من قيمة الميتافيزيقا ويقّلل من قدرها حيث يقول إّن "الفيلسوف الميتافيزيقي أشبه بالاعمى الذي يبحث في حجرة مظلمة عن قطة سوداء لاوجود لها " [٥٧]، لهذا يعلل اخذه بالطريقة البراجماتية , لما لها من قدرة على حسم ما كان متنازع عليه عند سائر المذاهب الفلسفية , وبخاصةً الميتافيزيقية منها, فيقول: ان الطريقة البراجماتية هي في الاصل وبصفة اولية , طريقة لحسم المنازعات الميتافيزيقية التي لولاها وبدون ما كان يمكن لها ان تنتهي[٥٨] لكن بعض الباحثين لاحظ ان الميتافيزيقا حاضرة في فلسفة جيمس بوضوح ,حتى أن الدكتور زكريا ابراهيم يقول : " وصفوة القول أن فلسفة جيمس هي عبارة عن زمانية ميتافيزيقية تؤمن بالتجربة والتعدد والتغير والصيرورة والزمان " [٥٩] أما رالف بارتون بيري , فيرى أن جيمس يعتبر البراجماتية طريقة تستخدم بحرية وسهولة , وطبقها على المذاهب القياسية للميتافيزيقا , كما لو كان أي منها يمكن اعتباره متاحاً , صحيح أن الميتافيزيقا التي اتخذها – ميتافيزيقا التعبير والحرية والتعددية – تعكس فعلاً إلى حدٍ ما لزوميات نظرية براجماتية للمعرفة , ولكن البراجماتية اقل لزومية بكثير عند جيمس ممّا هي عند جون ديوي , فتفكير جيمس الفلسفي – في اخلاقياته وميتافيزيقاه على السواء يزخر بالمثل العليا التي لا تتعّلق ببراجماتيته , أن لم تكن غريبة عنها – كان يخامره الشك وتخالجه الهواجس في هذا المضمار , وكان يجنح الى اعتبار ديوي أكثر راديكالية ,وأكثر ثباتاً, وعدم تناقض مع نفسه[٦٠].

ويمكن الجزم بأن (جيمس) ورغم براجماتيته , ألا أن له ميولاً ميتافيزيقية في عدة قضايا أهمها فكرة الله الذي يعرفه بأّنه " قوة عالمة مدركة مغايرة لقوانا "[٦١]وأنه" نوع من الكائنات , الذي اذا وجد فعلاً ,لابد أن يكون اكثر الموضوعات الممكنة مناسبة , لان تدركه عقول مثل عقولنا على أنه أصل لهذا العالم وما فيه.وبعبارة أخرى اريد أن أقول إن بعض الطبائع الخارجية عنا المتصفة بكل ما ينبغي ان يتصف به الإله من صفات لابد أن تكون الموضوع المطلق المعقول في ذاته , والذي يتمكن العقل الانساني من ادراكه , ومادام العقل الانساني هو ذلك المركب الثلاثي من انفعال ومن عمل عكسي ومن تجارب ... فإن ما هو اقل من الإله لايكون معقولاً له , وما هو أكثر منه يكون محالاً [٦٢] ويضيف جيمس ايضاً أن الله خاطروهو

مغروس في النفس الإنسانية, وأن " المقدرة على الخواطر القوية مغروسة في مكان عميق في الطبيعة الإنسانية , بحيث إنه إذا لم يكن هناك أسباب ميتافيزيقية , او عادات مألوفة تؤدي إلى الاعتقاد في وجود اله ,فأن الانسان يفترض وجوده , كعذر له على الأقل في أن يعيش عيشة خشنه , وفي ان يستخرج من الحياة أعمق ما فيها من لذات " (٦٣).

ويقول أيضاً "أنا نفسي اعتقد ان برهان الله يكمن بصفة اولية في خبرات شخصية باطنة, فإذا ما اعطاك الهك, فأن اسمه يعني على الاقل ميزة الإجازة" (٦٤)

وموقف (جيمس )هذا أثار حفيظة( برتراند رسل) الذي قال عنه:" إن نظرية (جيمس)هي محاولة لتشييد بناء فوقي للاعتقاد على أساس الشكلية لجميع المحاولات مثيلتها , فهي تعتمد على مغالطات , وفي حالته تنبع المغالطات من محاولة تتجاهل كلّ الوقائع المتجاورة للبشر , فالمثالية الباركلية منظمة إلى الشكية جعلته يستعيض بالإيمان بالله عن الله ,ويزعم أن هذا سيجعل كلّ شئ على مايرام , ولكن هذا لايعدو كونه شكلاً من أشكال جنون النزعة الذاتية " (٦٥).

اما نقد (جون ديوي ) للميتافيزيقا, فقد ظل صريحاً دون تغير او تناقض في موقفه سواءٍأ كان ظاهراً أم باطناً فهو موقف يمتاز بالوضوح والصراحة إذ يقول " إن البحث في ما وراء الطبيعة ,حتى في كونه ممكناً , وهو ليس كذلك لافائدة منه, وأن حصر مهمة الفلسفة في ذلك – بحسب رايه- هي احدئ العوامل الرئيسة التي أوصلت الفلسفة إلى حالتها الراهنة من التأخر والعبث والبعد عن مستلزمات الحياة الأمر الذي جعل كثير من الناس يعتبر الفلسفة وسيلة من وسائل الهروب عن مواجهة مشكلات الحياة والمجتمع " (٦٦) وقد ارجع ( ديوي ) نصيب كبير من ابتعاد الفلسفة عن عملها الحقيقي الموضوعي وبخاصة عند الفلسفة البراجماتية إلى (جيمس) حيث إنه " قد وسع مجال تطبيق النظرية البراجماتية ,بحيث شمل كل الافكار , وبخاصة الاعتقادات الدينية " (٦٧).

اما ديوي فأنّه قد رفض جميع ,اشكال البحث الماورائي والبحث المعرفي التأملي للموضوعات التي تقع خارج حدود العالم الطبيعي والخبرة الانسانية الواقعة في مجال الكائن – البيئة, وكذلك رفض كلّ ماهو قبلي ومطلق, بل ذهب أبعد من ذلك حين رفض التميز بين الذات والموضوع والروح والجسد والذهن والمادة , والذات واللاذات(٦٨).

## ك ئة ب:

إنّنا في هذه الدراسة حاولنا تقديم رؤية واضحة لموقف الفلسفة البراجماتية من الميتافيزيقا,لدى أبرز ممثليها ,وهم( بيرس وجيمس وديوي ) والذي هو موقف يقوم في ظاهره على نقدها والتقليل من أهميتها الى حّد استحالة وجود مباحثها، ولكن بعد تناول فلسفاتهم ومتابعة أفكارهم وآرائهم بالدراسة والتحليل بخصوص الميتافيزيقا ,تبين انهم

باستثناء ديوي الذي ظل موقفة حقيقياً من نقد الميتافيزيقا يتخذون من الميتافيزيقا وافكارها في معالجة بعض مسائل الفلسفة لديهم, وهذا يظهر بشكل بارز في مجال دراسة الافكار الدينية واثبات حقائقها, وهذا بعيد عن الفلسفة البراجماتية ومباحثها والتي تتمسك بمعالجة القضايا العلمية والعملية فقط , وتتجنب كل ماهو مطلق اوتأملي , وتدرس فقط ما هو واقعي وملموس وقابل لامكانية الوضوح والتحقق من خلال أهم نظرياتهاسواءٍ كانت نظرية المعنى والتحقق أوالاعتقاد أوالأثار العملية للأفكار وغيرها .

وهذا يبّين الموقف المتناقض للبراجماتية الذي ينتقد الميتافيزيقا ومباحثها,من جانب وفي الوقت نفسه يستعين بأفكارهاويوظّفها في فلسفته لمعالجة بعض مسائلها لاسيما في المسائل الدينية ومسألة وجود الله ومسائل الزمان والتجربة والتعدد والتّغير والصيرورة ومجالات الاخلاق من جانب اخر .

ﻣﺼﺎﺩﺭ ﺍﻟﺒﺤﺚ:
١- عبد الرحمن , سامية , الميتافيزيقا في الفكر العربي المعاصر – نماذج من الفكر المصري - , ضمن الفلسفة في الوطن العربي في مائة عام , اعمال الندوة الفلسفية الثانية عشر التي نظمتها الجمعية الفلسفية المصرية بجامعة الأزهر ,مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , ط١, ٢٠٠٢, ص ٢١٧.
٢- لالاند, اندريه, موسوعة لالاند الفلسفية , مج ٢, تعريب خليل احمد خليل , اشراف , احمد عويدات, منشورات بيروت – باريس , ط٢, ٢٠٠١م, ص ٧٤٩, (مادة ميتافيزيقا).
٣- الحيدري , كمال , مناهج المعرفة , دار فراقد للطباعة والنشر ,( ب-م )ط١,١٤٢٤ه, ص ١٦٤- ١٦٥.
٤- الالوسي , د.حسام محي الدين , دراسات في الفكر الفلسفي الاسلامي , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , ١٩٩٢م, ص ٢٦-٢٧.
٥- صليبا , د.جميل , المعجم الفلسفي , ج١, دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة , بيروت , لبنان , ١٩٨٢م, ص٢٠٣.
٦- مراد , وهبه , المعجم الفلسفي ,دار قباء الحديثة للطباعة والنشر , القاهرة , ٢٠٠٧م, ص١٣٧.
٧- المرهج , د.علي عبد الهادي , الفلسفة البراجماتية , دار المكتبة العلمية , لبنان , ط١, ٢٠٠٨, ص١٥٥.
٨- اسلام , د. عزمي , اتجاهات في الفلسفة المعاصرة , وكالة المطبوعات , الكويت , ط٥, ١٩٨٠م, ص ٩٢.
٩- دليل اكسفورد للفلسفة , ج١, تحرير تد هوندرتش , ترجمة نجيب الحصادي مراجعة عبد القادر الطلحي , المكتب الوطني للبحث والتطوير , ليبيا , ٢٠٠٣م ص١٤١.
١٠- حسيبة , د.مصطفى , المعجم الفلسفي , دار اسامه , عمان , الاردن , ط١, ٢٠٠٩, ص ١١١.
١١- محمد , د.سماح رافع , المذاهب الفلسفية المعاصرة , مكتبة مدبولي , مصر , ط١, ١٩٧٣, ص ٤٩.
١٢- الموسوعة الفلسفية المختصرة , ت فؤاد كامل واخرون , مكتبة النهضة , بغداد , (ب –ط) , ١٩٨٣, ص ٤٠٩.

١٣- المرهج , د.علي عبد الهادي , البراجماتية , ص ٢٤.
١٤- فام , يعقوب, البراجماتزم, دار الحداثة , بيروت , ١٩٨٥ , ص ١٤٤-١٥٩.
١٥- روزنتال–يودين , الموسوعة الفلسفية السوفياتية, ت سمير كرم , م د.صادق جلال العظم , جورج طرابيشي , دار الطليعة , بيروت , ط١, ١٩٨٤, ص٧١٣.
١٦- بدوي , د. عبد الرحمن , موسوعة الفلسفية , ج٢, المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت , ط١ , ١٩٨٤م, ص٤٩٣.
١٧- امام , د. امام عبد الفتاح , الميتافيزيقا , دار الثقافة للنشر والتوزيع , القاهرة ,١٩٨٦, ص ٥٠ .
١٨- المرهج , د. عبد الله عبد الهادي , الميتافيزيقا في فلسفة نيتشه , دار الهادي للطباعة والنشر, بيروت , ط١, ١٤٣٠ه, ٢٠٠٩م, ص١٧.
١٩- امام , د. امام عبد الفتاح , الميتافيزيقا , ص ٥٠ .
٢٠- المرهج , د. عبد الله عبد الهادي , الميتافيزيقا في فلسفة نيشه , ص ١٦.
٢١- المصدر نفسه , ص ١٧.
٢٢- بدوي , د. عبد الرحمن , مدخل جديد للفلسفة , وكالة المطبوعات , الكويت , ط٢, ١٩٧٩م, ص٤٢.
٢٣- ابن سينا , النجاة , نقحه وقدم له د. ماجد فخري , دار الافاق الجديدة , بيروت , ط ١, ١٩٨٥م, ص ١١٧.
٢٤- بدوي , عبد الرحمن, فلسفة العصور الوسطى , وكالة المطبوعات , الكويت , دار القلم , بيروت , ط٣, ١٩٧٩م, ص ١٣٤.
٢٥- ديكارت , رينيه , مبادئ الفلسفة , مبادئ الفلسفة , ت وتقديم وتعليق د. عثمان امين , دار الثقافة , القاهرة , ١٩٧٤م, ص ١٤.
٢٦- المرهج , د. عبد الله عبد الهادي , المتافيزيقا في فلسفة نيتشه , ص ١٩.
٢٧- لالاند , اندريه , موسوعة لالاند الفلسفية , ص٧٩٥.
٢٨- امام , د. امام عبد الفتاح , الميتافيزيقا , ص٥٢.
٢٩- محمد , د. على عبد المعطي , تيارات فلسفية معاصرة , دار المعرفة الجامعية , الاسكندرية, ١٩٨٤م, ص٤١٦.
٣٠- الموسوعة الفلسفية المختصرة , د. فؤاد كامل واخرون , ص ١٠٢.
٣١- اسلام , د. عزمي , اتجاهات في الفلسفة المعاصرة , ص ٩٢.
٣٢- المرهج , د. علي عبد الهادي , البراجماتية , ص ١٥٥.
٣٣- شنيدر , هربرت , تاريخ الفلسفة الامريكية, ت د. محمد فتحي الشنيطي , دار النهضة المصرية , القاهرة ,١٩٦٤م, ص٣٤١.
٣٤- ابراهيم , زكريا , دراسات في الفلسفة المعاصرة , مكتبة مصر , (ب- ط) ١٩٧٧م, ص ٣٢.
٣٥- محمود , زكي نجيب , نافذة على فلسفة العصر ,مطبعة الكويت , الكويت ,١٩٩٠م, ص ١٣٢.
٣٦- الحفني , عبد المنعم , الموسوعة الفلسفية , دار ابن زيدون , بيروت , ط١ ص٩٣.
٣٧- اسلام , عزمي , اتجاهات في الفلسفة المعاصرة , ص ٩٥.
٣٨- المصدر نفسه , ص ٩٦- ٩٧ .
٣٩- محمود . زكي نجيب , نافذة على فلسفة العصر , ص١٣٣.
٤٠- اسلام , عزمي , المصدر السابق .

٤١- وايت , مورتون , عصر التحليل – فلاسفة القرن العشرين – , ت اديب يوسف , وزارة الثقافة والارشاد , دمشق, ١٩٧٥م, ص١٥٢.
٤٢- اسلام , عزمي , المصدر السابق , ص ١٠٠.
٤٣- وايت , مورتون , المصر نفسه , ١٥٤.
٤٤- شنيدر , هربرت , تاريخ الفلسفة الامريكية , ص ٣٤١.
٤٥- بوخنسكي , تاريخ الفلسفة المعاصرة في اوربا , ت محمد عبد الكريم الوافي , مكتبة الفرجان , طرابلس , ليبيا , ص ١٥٩.
٤٦- محمد , د. سماح رافع , المذاهب الفلسفية المعاصرة , ص ٥٤.
٤٧- بوخنسكي , المصدر السابق , ص ١٥٩.
٤٨- كامل , د. فؤاد , اعلام الفكر الفلسفي المعاصر , دار الجيل , بيروت ,ط١ , ١٩٩٣م,ص ٩٧.
٤٩- المصدر نفسه , ص ٩٧.
٥٠- جيمس , وليم , البراجماتية , ت د. محمد علي العريان , تقديم د. زكي نجيب محمود , دار النهضة العربية , مصر , مؤسسة فرانكلين , بيروت , ١٩٦٥,ص - ٦٥-٦٦.
٥١- ديورانت , ول , قصة الفلسفة ,ت فتح الله المشعشع , مكتبة المعارف , بيروت , ط٥ , ١٩٨٥م, ص ٦١٨.
٥٢- كونزمان , بيتر واخرون , اطلس الفلسفة , المكتبة الشرقية , بيروت , لبنان , ط١١, ٢٠٠٣م, ص ١٧٣.
٥٣- جيمس , وليم , البراجماتية , ص ٧٠-٧١.
٥٤- المرهج , د.علي عبد الهادي , البراجماتية , ص ٣١-٣٢.
٥٥- المصدر نفسه , ص ١٦١-١٦٤.
٥٦- الموسوعة الفلسفية المختصرة , ص ١٤٠- ١٤١.
٥٧- امام , د. امام عبد الفتاح , الميتافيزيقا , ص ١.
٥٨- جيمس , وليم , البرجماتية و ص ٦٣.
٥٩- ابراهيم , د. زكريا , دراسات في الفلسفة المعاصرة , ص ٢٦.
٦٠- بيري , رالف بارتون , افكار وشخصية وليام جيمس , ت د. محمد علي العريان , دار النهضة العربية , القاهرة , مؤسسة فرانكلين , نيويورك , ١٩٦٥م, ص ٤١٩.
٦١- جيمس وليم , ارادة الاعتقاد , ت د. محمود حب الله , دار احياء الكتب العربية , ( ب_ م _ ب_ ط ) ١٩٤٦م, ص ٩٠ .
٦٢- المصدر نفسه , ص ٨٥.
٦٣- جيمس , وليم , المصدر نفسه , ص ١٠٦.
٦٤- جيمس , وليم , البراجماتية , ص١٣٧.
٦٥- رسل , برتراند , تاريخ الفلسفة الغربية , الكتاب الثالث , ت د. محمد فتحي الشنيطي , الهئية المصرية العامة للكتاب , القاهرة , ١٩٧٧م.
٦٦- جعفر , د نوري , جون ديوي – حياته وفلسفته - , مطبعة الزهراء , بغداد , ( ب – ت ) ص ٣٣.
٦٧- ديوي , جون , نمو البراجماتية الامريكية , ضمن كتاب فلسفة القرن العشرين , نشره , روتزداجبوررت , ت .عثمان نويه , م . د. زكي نجيب محمود , مؤسسة سجل العرب , ص ٢٣١.
٦٨- الشمري , د عبد الامير سعيد , الفلسفة الامريكية ,اداتية جون ديوي في المعرفة , دار الصنوبر , بغداد , ٢٠٠٨م, ص ١١.